كانت حرية الانتقال محدودة للعرب عامة ، فهي لاصحاب الهوية الحمراء شبه معدومة · وعلى العموم ، كانت هذه موضع شك وتساؤل ، وبالتالي مضايقات لا حصر لها · في البداية ، كان التواجد خارج منطقتي العسكرية مسموحا في ساعات النهار فقط · فبموجب التصريح ، وكما هو مرقوم في نصه ، لا يجوز لي التواجد خارجها بعد السادسة مساء · والمخالفة جنحة ، ولها عقابها · حتى وان كان ذلك خارجا عن ارادتي ، فانه لا يغير شيئا · واذا تأخر المباص فرضا ، وضبطت بعد السادسة خارج المنطقة ، او في الطريق اليها ، تعرضت للمحاكمة · وكانت محاكم اسرائيل تغص بالمخالفين العرب · فكنت ترى طوابيرهم مصطفة امام تلك المحاكم كل صباح · يدخلون على القاضي ، وكان عسكريا في البداية · يعرضون دواعي مخالفاتهم · يصغون بصمت الى الاحكام الصادرة بحقهم ، بالسجن او بالغرامة المالية · ويتوجهون من ثم ، بناء على ارادتهم الحرة ، الى السجن او الى محاسب المحكمة · والغرامات مصدر دخل وافر للدولة · والقضاة يعون ذلك جيدا · فكانوا يخفضون الغرامات المالية نسبيا ، ويرفعون معدل ايام السجن · فكأنما لسان حالهم يقول : « الدين ممنوع ، والعوض على الله » · الا انه والحق يقال ، بدأت وطأة الاحكام العسكرية تخف في النصف الثاني من الخمسينات · فصار باستطاعتي مثلا ، عندما ذهبت لاستكمال تحصيلي في الجامعة العبرية في القدس (١٩٥٨) ، ان احصل على تصريح سنوي للاقامة فيها · وكذلك للتنقل بينها وبين قريتي في الجليل الاعلى الغربي ·

اذن ، للهوية الحمراء محاسن : تجيز الاقامة في البلد ، ولو مؤقتا · تفي بالحد الادنى من الحاجات ، دون الانفلاش · وليس في ذلك ضير كبير · تسمح بالتنقل المحدود داخل البلد ، دون مغادرته الى الخارج · ولا بأس ، فالسفر مؤجل · ومن كان يفكر بالسفر اصلا ! هذا يحتاج الى جواز · والجواز للمواطنين ، من حاملي وثيقة التجنيس · ولن يصدر الا بشهادة اداء الخدمة في الجيش · والا فباستصدار فرمان بالاعفاء منها · وكل ذلك يستوجب معاملات ووساطات ، همها اكبر من جدواها · وفوق ذلك ، فالتأشيرة رهن بموافقة السلطة · وهذه لا تمنحها جزافا · ولا تمنح للعرب على أي حال · ولنيلها لا بد من سبب شرعي مقبول · والقبول ينطوي على ترخيص بشراء مبلغ محدود من الدولارات · وهذه لا تتداول في السوق الحرة ، وانما تخضع لرقابة حكومية صارمة · لهذا كله فالسفر مؤجل · وعندما انتهى الاجل ، وازمعت اخيرا على السفر ، تحملت وزر التجربة كاملا · ومع ذلك ، شعرت بالاسى وانا افارق هويتي الحمراء · لقد رافقتني ثلاثة عشر عاما ونيف ، وكانت رفقة مريحة نسبيا · فلا قسوت عليها حتى تثور في وجهي ، ولا هي غررت بي فاجحد فضلها · ويوم سلمتها لأمور احصاء النفوس ، وتسلمت مكانها اخرى رزقاء ، احسست فجأة باكبال